إبراهيم الحجري يكتب سيرة جيل يشقى بوعيه في "استثناء"!

عن منشورات "مقاربات"، وضمن سلسلة إبداع صدرت الأضمومة السردية للكاتب والباحث إبراهيم الحجري، في طبعة أنيقة اختار لها كعنوان: "استثناء"، تجمع بين القصة القصيرة و فن الـ(ق.ق.ج) المخاتل، وسنركز في هذه الورقة على القصة القصيرة، أو بعض القصص التي تشكل وحدة عضوية ونفسية.

هشام بن الشاوي
المغرب

يستهل إبراهيم الحجري مجموعته القصصية بقصة "النظر من تحت"، التي يشي عنوانها بانحياز القاص إلى العوالم السفلى المهمشة، و للتعبير عن انكسار الذات و تشظيها وظف فنيا العناوين الفرعية و لجأ إلى تكسير خطية السرد، مستعملا ضمير المخاطب.. الحداثي بامتياز، الذي نادرا ما يستخدمه الكتاب عكس ضمير المتكلم أو الغائب، وهو- أيضا- يفضح غربة الذات عن نفسها و محيطها، فلا تجد من تخاطبه غير أناها. الشخصية تهرب من المدينة إلى البادية / الهامش رغم قسوة الطبيعة، والسنوات العجاف.. منسحبا من مسرحية المركز التي لا دور له فيها، هاربا من سؤال الكينونة الذي يطارده مع انزلاق العمر نحو هاوية الضياع.. هذا الوعي الشقي يتجلى بوضوح في قصة "مثل هذا الحشر"، حيث يذهب السارد كغيره من الطلبة لاستطلاع نتائج الامتحانات، ويبدو غير عابئ بالنجاح أو الحصول على الشهادة الجامعية.. كأنه الخوف من المجهول/ المستقبل، من أن يلقى المصير المأساوي نفسه لزميل الدراسة الذي كان يتبنأ له الجميع بمستقبل سياسي باهر، فانتهى به الأمر إلى أحد بؤساء حي صفيحي، يفتقد أبسط شروط الحياة الكريمة (قصة "وجهه في السوق")، ولأن معظم أبطال القصص سلبية، مكبلة بعجزها، لا يجد غير اقتراح الأم حلا/بديلا أو نصف حلّ في واقع مزر لا يرضى بأنصاف الحلول، رغم رفضه المسبّق للفكرة، ويقبل أن يفرش بضاعة كاسدة في السوق الأسبوعي، حتى لا يجد نفسه مراقبا مثل بطل قصة "الويلات"، الذي هرب- بعد التخرج- إلى البادية "حيث تعوي أسئلة الضياع والويلات"، فالمدينة تلفظه... ولن يجد غير الحافلة يستقلها مثل السويحلي في "مقام آخر الزمان" صوب عبدالله أمغار أو كما عرف تاريخيا باسم مدينة "تيط"، لكن الإحساس بالغربة سيتفاقم، مثلما حاجته إلى بعض السلام الداخلي، رغم كل الصخب والاحتفالية، سيتحاشى تلك الفتاة التي تحسه غير راغب فيها، يفضل رفقة البحر وعشق المكان.. لبؤسه وخواء جيبه ووعيه الشقي الذي يكرس المأساة، وليس ولعا بالمكان كما السياح !.

إن شخصيات القصص محاصرة بالخيبة والفشل، حتى لو فكرت في البحث عن فرصة عمل في بلد آخر (قصة "فضفضة على هامش تريبولي")، وعجز الشخصية وسلبيتها سيتجلى بوضوح في قصة "زفاف بول هوراس". السارد يجد نفسه غير مدرك لوقوعه في كمين الأنثى/ زميلته في الجامعة التي تتودد إليه أكثر، حين علمت أنه صار معلما -ولو في قرية- ومازال أعزب، وفي البيت تتحدث مع أسرتها عن شؤون زفافهما، وكأن الأمر لا يعنيه، ولا أحد يطلب منه رأيه، وهو الغارق في ارتباكه وخجله، وحين فطن إلى تورطه، وحاول الانسحاب، كانت "خبرة" الأب له بالمرصاد !...

يلاحظ حضور قوي لمدينة الجديدة وأحيائها وشواطئها وصيفها، لكن صيفها يعمق معاناة الشخصيات غير الفاعلة و يطردها خارج الحلبة/إلى الهامش/البادية، حيث تتواطأ قسوة الطبيعة والمناخ مع "جفافها" العاطفي والحياتي ودونيتها.

ومن النصوص التي شدتني أكثر في المجموعة "عيد ميلاد فاطمة"، وهو نص رثائي لأخت الكاتب.. نص طافح عذوبة و حزنا شفيفا، أيضا ينعكس سحر الطفولة وبراءتها ونقائها على قصة "العم البهجة"، ولا ننسى "امرأة فوق طاولة"، وإن لم أستسغ -ربما هي عقلية/عقدة "مصطفى سعيد" (بطل الطيب صالح)- أن يعشق إيطالي امرأة مغربية، أن يعشق دجون شميسة، ويبحث عنها بلهفة، عن نقش اسمها على طاولة لم يعد لها أثر كمقاهي كورنيش الجديدة، أما قصة "ضربة حظ" فلها ألق خاص، فقد سبق وقرأتها في الملحق الثقافي لجريدة حزبية تم إجهاضها، وكانت المنبر الوحيد الذي احتضن عدة مواهب تسعينية، كنا نتلهف على صدورها يوم الأحد- وبفرح البدايات... ذات بهاء، ونقصد المقهى الشاطئي الذي لم يعد له أي أثر!.. ومع تكاثر المنابر الورقية والإلكترونية، التي تجمعنا بأصدقاء البدايات، لم يعد للنشر أي طعم، فقط... صرنا غرباء، ولا نفرح بقراءة نصوص الأصدقاء، ربما، ببرود قد يخبرك أحدهم أنه قرأ لك- بالمصادفة- في الجريدة أو المجلة الفلانية، دون إبداء رأيه، لعلي خرجت عن الموضوع، لكن تلك المتعة التي افتقدتها استعدتها/عوضتها متعة وصف الصباحات في القرية أو البادية في "استثناء" إبراهيم الحجري، وبلغة تصويرية تهيج الحواس كافة، تجعلك مأخوذا بعبق دكالي آسر...

ختاما، لا يسعني إلا أن أشكر القاص إبراهيم الحجري، لأنه أعاد إليّ بعض زمن البهاء.. وان كانت ورقتي غير منصفة، لكن -أحيانا- تجد نفسك عاجزا عن الاستفاضة في الكتابة عن النصوص الجميلة، أوليس الصمت أمام الجمال عبادة؟.

متابعة

ستار كاووش: عيناي تخرجان خلسة الى الشارع

محمود النمر

احتفى ملتقى الخميس الابداعي بعودة الفنان التشكيلي ستار كاووش، وقدم الجلسة الناقد السينمائي كاظم مرشد السلوم الذي اشار الى اهمية هذا الطائر العائد الى ارض الوطن وهو يحمل ريشة يرسم في الفضاءات وجه الوطن،اليوم نضيف فنانا متميزا غاب عن البلاد ستة عشر عاما وهو الفنان ستار كاووش الذي هرب من مدينة الثورة ليدخل الى عيادة الدكتور –كاليداري– ليجد فيها كبار وعظماء التعبيرية الألمانية، خرج من تلك العيادة مهووسا بالفن التشكيلي، ممتلكا باسلوب مميز واضعا بصمته في عالم الفن التشكيلي العراقي وحتى العالمي.

شكرا لكم لقد جعلتموني مشهورا، هكذا بدأ الفنان كاووش جملته الاثيرة: مفاجأة حقيقية كانت بالنسبة لي حين شاهدت اول مرة في حياتي لوحات حقيقية معلقة على الجدار في قاعة عرض حقيقية ايضا، حيث حدث ذلك عندما اخبرني الروائي عبدالخالق الركابي حين كان يدرسني الرسم في المدرسة، مكان المعرض النشاط المدرسي في باب المعظم، كان ذلك في منتصف السبعينيات، وقد انتبه لي مبكرا، وشجعني على الرسم. درست الرسم على يد الاساتذة فائق حسن، كاظم حيدر، اسماعيل الشيخلي، وليدشيت، الذي اهتم بي مبكرا وعن طريقه تعرفت على اعمال الفنانين مثل جاسبر جونز وروشنبيرغ من خلال الكتب التي كان يجلبها لي دائما، وكنا نتحدث عنهم كثيرا، حيث تعلمت منهم طريقة التعامل مع سطح اللوحة وكيفية ادخال مواد غريبة جدا على قماشة الرسم، واخذ كاووش وسط حشود الحاضرين يسرد ذكرياته من اول معرض الى اخر معرض في عام ١٩٩٣ قبل ان يهرب الى منفاه، عن اسماء معارضه –الباص الاحمر –جسد المدينة –ورجل وامراة –في قاعة الرواق، كانت اللوحات اقرب الى القصيدة اليومية السريعة حيث المتع الحياتية، اربطة العنق الانيقة، بناطيل النساء الضيقة، الاكسسوارات الحديثة، هنا ابتعدت عن اللوحات الكبيرة التي تشبه العمل الروائي، رسمت لوحات صغيرة تشبة قصصا قصيرة جدا، اذا صح التعبير، محاولا امتلاك ادواتي السردية ان صح التعبير ايضا، وقد استعنت بآلة حادة لاحداث خطوط وشخطات لايمكن ان تصنعها الفرشاة، وفي الوقت نفسه اصبحت السطوح صافية رقراقة تحس بها وكأنها رسمت توا .

وقال :الان اكثر من اي وقت مضى، احسب بأن عينيّ تخرجان خلسة ليلا وانا نائم الى الشارع، تبحثان عن ازياء المارة عن بقايا الاعلانات الممزقة على الواجهات المطلة على الشوارع، عن خصلات الشعر المنسابة بنعومة، عن سيقان النساء المزدحمة في مترو، الاعلانات المضيئة وواجهات المحال، دخان السجائر الذي يتحرك بطبقة اميبية في فضاء حانة مزدحمة، احذية النساء بكل اشكالها والوانها والارصفة المغسولة توا بفعل المطر، حساسيتي التشكيلية تندفع دائما نحو الاشياء الصغيرة والمهملة والعابرة احياناومن خلالها اجد حلولي الشخصية في صناعة العمل الفني.

كاووش في ملتقى الخميس

كما اكد الناقد فاضل ثامر اهمية هذا الفنان العراقي المغترب الذي استطاع منذ البداية ان يؤكد حضوره في الحياة الفنية كما في الحياة الثقافية، ليس الهدف ان تستطيع ان تنتج عملا، وانما ان تمتلك تميزا خاصا، ستار كاووش استطاع منذ البداية ان يعلن تميزا خاصا في الاداء وفي التشكيل، في تقديري كان تلقائيا وطبيعيا مع ذاته ومع الادوات التي يتعامل بها، هو ظل يمتلك عين الطفل رفض ان يكبر وهذه النظرة الطفولية استل منها موضوعاته الابداعية ببراءة الطفل.

وقرأ الشاعر عدنان الفضلي قصيدة مهداة الى ستار كاووش بعنوان –ازقة الاشتهاء – قائم ..يزحزح عينيه قليلا / ويغادر الوقت ماشيا باتجاه اشباهه /هو الحقل والمحراث والغيمة / واخر الارحام الحبلى بالحفاة / خائف يحمل جرابه / خوفا من فضيحة الافعى.

وفي مداخلة للناقد التشكيلي جواد الزيدي جاء فيها :يقف الفنان ستار كاووش في مقدمة التشكيليين الذين لم تنقطع اخبارهم عنا، حتى اصبحت غربته اثرا للتواصل وتأكيدا للحضور، وبقي مخلصا لمنهجه الفني ولم يصغ الى مجمل الاراء التي قيلت بصدد تجربته الفنية حتى اتخذ من التعبيرية اسلوبا للتعامل مع مفردات الواقع في تكوين اللوحة، لم يتراجع عنه وان تدافعت امامه الاساليب والرؤى ولم تغره الاشكال الاخرى عندما خلع الاخرون ارديتهم وبدلوا مذاهبهم، ليجترح لنفسه اسلوبا خاصا يمكن الاستدلال عليه من خلال ذلك في فترة تشابه الاساليب.

من البرج العاجي

منفى كاتب "العالم الثالث"

فوزي كريم

كنتُ أضع لمفهوم "منفى" الشاعر عددا من الأبعاد، تبدأ بالتعامل مع اللغة القاصرة عن الاستجابة للمشاعر المعقدة، وتنتهي بالمنفى الجغرافي، مرورا بالمنفى النفسي في القطيعة مع المحيط الاجتماعي، والمنفى الفكري في القطيعة مع المحيط الإيديولوجي. ولكن الكاتب التركي أورهان باموق، في آخر كتاب مقالات له تُرجم إلى الإنكليزية بعنوان "ألوان أخرى"، أشار إلى بُعد "منفى" جديد لم يخطر لي على بال. كان يتحدث عن الروائي بارغاس يوسا، من البيرو، في مدار حديث الأخير عن أدب "العالم الثالث". عن موقع هذا الأدب وفاعليته في مواجهة الأدب الغربي، الذي اعتبره مركزيا في الحضارة الحديثة، قياسا لحركة الأدب في العالم الثالث، التي نمت على هامشه، متأثرةً به، ومستوحيةً منه.. وهو اعتبار لا اعتراض عليه من قِبلي في الأقل. لأني أرى ما يرى في أن معظم فنونَ الكتابة الجديدة، من رواية، قصة قصيرة، مسرحية، وفن مقالة، إلى فنون الرسم والموسيقى الجدية والسينما والتصوير، هي وليدة الحضارة الغربية منذ عصر نهضتها في القرن السادس عشر. ولقد أخذَتْ بين أيدينا يوم انتفعنا منها، نحن أبناء العالم الثالث، صبغتنا المحلية. ولكن علاقة هذا الأدب المحلي الحديث بالأدب الغربي تظل، بصورة من الصور، علاقة أطراف بمركز، ومدار بمحور.

واضح أن الروائي التركي باموق، الذي حاز على جائزة نوبل العام الماضي، أكثر صراحةً مع النفس من كاتبنا العربي: "إن ما هو حاسم هنا هو إحساس كاتب العالم الثالث بأنه في حالة منفى عن مراكز الأدب العالمي." وهو يعني بالتأكيد الأدب الغربي، مجتهدا أن بمستطاع هذا الكاتب أن يختار الإقامة في واحدة من هذه المراكز الغربية، كما فعل بارغاس يوسا حين هجر البيرو وأقام في الغرب. ولكن إحساسه بحاله لن يتغير، لأن "منفى" كاتب العالم الثالث ليس أمرا جغرافيا قدر ما هو إحساس روحي. إحساس بالاستثناء، وبكونه أجنبيا بصورة دائمة.

هذا شعور خفي أكثر سرية من أن يُعلَن، لدى كاتب الأدب الجدّي. أقول الجدي عزلا له عن ظاهرة كاتب الأدب الشائع اليوم، الذي فرزَتْه ظاهرة الأنشطة الإعلامية التابعة للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، كلية السطوة، التي جاءتنا منذ الخمسينيات. الكاتب الجدي يشعر عادة بخيبة أمل لا تنقطع، منذ كتابة نَصّه حتى مرحلة نشره على الناس. وإن شيوع الرغبة لديه في توسط وسائل الإعلام من صحافة، إذاعة، تلفزيون، ما هي إلا ضرب من التعويض عن إحساس بخسارة دفين لديه. خسارة نَصّه الذي لم يصل إلى قراء يُرضونه نوعا وكَمّا. ولا أستثني رغبته بنيل الجوائز. مع أنها ظاهرة تامة الصحة والعافية في الغرب، في حين تبدو لحساسيته ضربا من التنكيل به، هو الذي زهد بهالة النجم، الذي توجَّه إليه الجوائز. لأن هذه الجدية عادة ما تتعارض مع كل مسعى وسائل الإعلام والنشر.

هذا الكاتب الجدي سيتعرّض لإحساس بالمهانة كهذا بصورة أشد لو أنه خبر العيش داخل هذه الحضارة الغربية، ولسنوات كافية. فهو لن يُرضيه ما يحدث لنصه داخل بهو الثقافة العربية البعيدِ عنه. ولن تُرضيه بالتأكيد الهامشية التي يعاني منها داخل حركة الثقافة الغربية الناشطة. وليس له في عزلته أي مُتَنَفّس يملأ رئتيه بالطمأنينة والرضا.

هذا الإحساس قد لا يخطر على كيانَ الكاتب من "العالم الثالث"، الذي يتحدّث عنه باموق التركي، وتركيا على أعتاب دخول السوق الأوربية المشتركة. ولا يشعر به بالتالي كتابٌ من أمريكا اللاتينية، من أمثال ماركيز، يوسا، وأوكتافيو باث، التي تبدو سمعتهم رائجة في الغرب، إلى جانب الكاتب الإنكليزي، الألماني، الفرنسي أو الأمريكي، سواء بسواء.

كيف، إذن، نتأمل وحشة الكاتب العربي المعاصر، وهو بعيد حدّ القطيعة عن مركز الفنون التي يمارسها، من رواية، مسرح، قصيدة طليعية، سينما، رسم...!!

الجالس على غيمة يغني

إلى روح الشاعر كزار حنتوش

خزعل الماجدي

على كتفه الأيمن كأسٌ
وعلى كتفه الأيسر ملاكٌ سكرانٌ
قرب شبّاكه جرّة فخارٍ
وهو يلفّ سيجارته ويواصل الكلام:
"إيه ما كنّا، ولك ابن زناد هكذا تذهب عني غفلةً وتسافر!
ماذا قلت لروحك، تعوف صاحبك حتى دون سلام! ما كان
يومٌ ولدتُ فيه ولا كان نهارٌ يوم عرفتك، لولا أنك قليل بختٍ
لما أدرت ظهركَ وذهبت إلى ليبيا"
رمى الطاسةَ وأخذ جرّة الخمر وكرعَ، ثم أنزلها وهو يعصر
وجهَهُ
وبلعومه وقال: (شيحطون له)
أشار إلى الموانئ وركض خلف الأبلام وحلاّنات التمر وأكياس
الفحم، وتعصّم بالدخان وغاب.
كان يشيل بريد الديوانية على كتفيه نهاراً، وفي الليل يفتش في
رسائل العشاق والسكارى ويقرأها كقصائد كتبها هو، مائدته
مزدحمة بالمغنين وأوراقه مفروشة على الحشيش. يكشُّ غبار
الليل ويذهب بنا في نهر يمتد طويلاً، ظنّ أنه البهلول يهشّ عنا
غبار الزمان.
كيف قدتنا يا كزار في مشحوفك هذا من بلدتكَ إلى بغداد،
وأنتَ تدقُّ الهاون وتطحن ورد البيبون لنا. كان يوزع للفقراء
الواقفين على الضفتين الأملَ وأكياس التتن وباكيتات الشاي،
ورماداً يتطاير في الماء.. كان كزار يطفئ ناراً، وطيورُ الماء
تتبعه..
دثّر القيثارات الذهبية لسومر بالبطّانيات.. ونقلها إلى بغداد،
لو أنها تنطقُ، لو أن العود يدقّ، لو أن النايات تصحو لكان
جمالٌ وكان سحرٌ، كان يطوف المدن ولا يتعب وخزائنه في
أفواه الناس.
الأرض على هيئة مسلةٍ يقف كزار في أعلاها وهو يتسلم،
من إنكي، جرّة الخمر. هو واقف وإنكي جالسٌ على كرسيه
القصب تنبع من أكتافه خطوط المياه.
ما زال يُسرفُ في تلذّذه، وما زال الفضاء
سجناً لغابته التي اصفرّت، وما زالت يداه
نهرين من وردٍ تخيطان الزمانَ بلا خيوط
نهرين من ألمٍ يدوسان الفجيعة في متاهته التي اتسعت
وغابت في دمٍاه
نهرين يشتعلان، دجلة والفرات، وفيهما:
فصل الدخول إلى الخمور
فصل التوغل في الضباب
فصل الحصول على الزوارق والرحيل
فصلٌ يكون كزار فيه مرنّحاً بين الحقول
يده على الجمرات، يضحك،
جاعلاً من أول الأشياء ألعاباً
وحتى يُخرج الصقرُ السماءَ من المياه

نهران يشتعلان في كفيه مثل سيجارةٍ والكأس
ينفخ بين مداهما مدناً تغني أو تفيض.
الجالسُ على غيمةٍ يغني: آه يا ويلي
النقيّ الأكثر بياضاً من البياض يتقدم في ليل الديوانية
بدشداشته
وهو يدوس على المجهول ويجرّ مراكبه على التراب:
ـ ماذا أعطاكَ (إنكي).. الملوكية وسرّ المعرفة؟
ـ لا.. لا.. أعطاني السعادة وجرّة الخمر، السعادة أجمل من
الملوكية والخمرُ هو المعرفة.
يدوسُ على المجهول ولحى عنزاته يلطّخها التراب:
ماذا جرى؟
وطنٌ ولا شمسٌ
أيبكي الليلُ شعباً تائهاً ثَقلت مفاصله
ونام ربيعهُ
وطنٌ كأن خرابَه الأزليّ في دمنا
لا الطين يصلحُ حاله لا النفطُ لا الدمُ لا الغناءْ
ماذا تقول لي القصائد في دفاترِه الحزينةِ
ماذا يقولُ كزار للموتى بلا اسم ولا عنوان
فرغت موائده
وما زال النهارُ ملطخاً بالحبر
ما زالت كؤوس الخمرِ تشحبُ أو تشيخ
دفعتكَ الأيامُ إلى بغداد
فجالسكَ الهائمون بأبدية الغناء
وقام (جان دمو) وأخذك معه إلى غيمةٍ
وأعطاكَ (حسن النواب) مظلّته
لكنك كنتَ مشغولاً برشِّ الأزهار على دجلة
الذي كانت تطفو عليه الجثث.
كانت (رسمية) تسحبكَ لكي لا تغرق
لكنكَ ذهبت بعيداً في النهر ورفعت كأسك
فسكرنا نحنُ على الضفاف
وكنتَ على خشبةٍ تمضي في الماء
وطيورٌ غافية، حولك، تطعمها الحنطةَ براحتيك
ألفتكَ الطرقاتُ أيضاً وأحبّت دمدمتك
لو أنك تفهم إشارات الدروب
لما ضيّعت حذاءَك
لو أنك تفهم لغةَ النحل
لكوّمت قواطي العسل في الطرقات
لكنك كنتَ مهووساً بعبد الحليم حافظ والماركسية
وكانت ماركسيتك رديةً أكثر مما يجب
كان لها حفلات وغجرٌ وخرافات في الحبِّ
عبد الحليم متى ستأتي للعراق
لكي يحلِّق في حريرك
ولكي يبوس أغانيكَ الجميلة أو يبوسَكْ
دندن له ما شئتَ
كي يصحو قليلاً في غنائكَ.. في طيوبكْ
ما زال يسرفُ في محبتِه
وصورتك الجميلة في جيوب كزار وهو يودّع الدنيا
وصورتُه الخفيّةُ في جيوبكْ.